اسم الدرس : تفسير سورة البينة

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

تفسير سورة البينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

مقدمة: سنناقش في هذا المجلس سورة هي معجزة في ذاتها، فهي أعجزت كل المفسرين واختلف حولها كل من فسرها في كل آية من آياتها، سنتكلم عن السورة إجمالا ثم ننتقل للإشكال الوارد في الآيتين الأولي والرابعة، ونتعرض لبعض معاني الكلمات الهامه لنعرف المراد من الآيات، ماذا تعني منفكين ومن هم الحنفاء ؟ ثم نري أصناف الناس المذكورين في هذه السورة –فهي كبقية السور المحيطه بها قسمت الناس إلي أصناف– من هم خير البرية ومن هم شر البرية؟ أسأل الله أن ننتفع بهذا المجلس.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد صلى الله عليه وسلم.

إن شاء الله اليوم نأخذ وقفات مع سورة البينة.

شأن سورة البينة:

سورة (البينة) سورة لها شأن خاص. وكل سورة في القرآن لها شأن خاص، ومن التوفيق والسداد أن يُبصِّرك ربك سبحانه وتعالى بهذا الشأن الخاص للسورة. فمثلًا: عندما نقول سورة البقرة لها شأن وورد فيها أحاديث، وكذلك سورة آل عمران، فهناك سور ورد فيها فضائل معينة. وسورة البينة ورد في فضلها أحاديث كثيرة لكن جُلُّها ضعيف خاصةً ما ورد في كتب التفاسير التي لا تهتم بتحقيق الأسانيد، ففيها أحاديث كثيرة في الفضل لكن جُلُّها ضعيف. والثابت الصحيح في سورة البينة وورد في البخاري وغيره؛ عندما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة البينة على أُبَيّ بن كعب، وقال له: (إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ سورة البينة، قَالَ: وَسَمَّانِي؟! قَالَ: نَعَمْ، فَبَكَى)[1]. وأُبي بن كعب من القرَّاء لكتاب الله عز وجل

[1] [عن أنس بن مالك:] أنَّ النبيَّ ﷺ قال لأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ: إنِّي أُمِرتُ أنْ أقرأَ عليكَ. قال: وسُمِّيتُ لكَ؟ قال: نعَمْ. قال: وذُكِرتُ هناكَ؟ قال: فجَعَلَ يَبْكي، قال: فزعموا –الشافعي- أنَّه قرأَ عليه: {لَمْ يَكُنِ...} [سورة البينة].

ومن الذين يؤخذ عنهم القراءة في كتاب الله عز وجل. فسيدنا أُبي رضى الله عنه لما قال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إن الله أمرني أن أقرأ عليك سورة البينة) بكى وقال: (أوَ سماني لك؟) وفي روايات: (أوَ ذُكرت ثمَّ!) -أي: ذُكر اسمي هناك في الملأ الأعلى- فقال -صلى الله عليه وسلم-: (نعم) فبكى أُبي بن كعب لأن الله عز وجل ذكره باسمه. فهذه فضيلة عظيمة لسيدنا أُبي من الله -عز وجل-.

وقفة مع أُبَيّ بن كعب:

لماذا اختار النبي -صلى الله عليه وسلم- سيدنا أُبي تحديدًا ليقرأ عليه سورة البينة؟ لماذا هو تحديدًا؟ ولماذا هذه السورة تحديدًا؟ حاول العلماء الاجتهاد في هذه المسألة.

فبعضهم قال: إن هذا كان **تأهيلًا لسيدنا أُبي**، لأنه سيقوم بهذه الطريقة في إقراء القرآن. فالنبي -صلى الله عليه وسلم- **يعلمه طريقة عرض القرآن**، وكيف يعرض عليه أحد القرآن وهو ينصت ويصحح. فكأن النبي -صلى الله عليه وسلم- تواضعًا جلس موضع المتعلم، وقرأ عليه سورة البينة. ومن قال هذا القول ذكر أن سورة البينة نزلت قبل هذا الموقف، وكان يعلم بها سيدنا أُبي، ويقرأ عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- عليه السورة كنوع من التعليم، وهذا تشريف لسيدنا أُبي وتعليم للطريقة التي سينتشر بها القرآن بعد ذلك.

ورفض بعض المحققين هذا القول السابق، وقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم - قرأ عليه لأجل معنى يحتاجه وليس مجرد تشريف لسيدنا أُبي. ولكن سيدنا أُبي كان يحتاج أن يُقرَأ عليه في هذه المرحلة سورة البينة. وحاولوا معرفة ما الذي كان يحتاجه سيدنا أُبي من سورة البينة. وأكثر قول قرأته وانتشر في كتب العلماء كلام **للإمام ابن كثير** -وإن كان بعض العلماء اعترض عليه-. فقال ابن كثير بأن سيدنا أُبي -كما في روايات أخرى- سمع عبد الله بن مسعود يقرأ بقراءة غير التي سمعها أُبي من النبي -صلى الله عليه وسلم-، فانتفض أُبي وذهب للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وقال له: سمعت عبد الله بن مسعود يقرأ بقراءة غير التي أقرأتنيها، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف)[٢]، أي: القراءات. وإن كان الأحرف السبعة وعلاقتها بالقراءات مسألة فيها خلاف طويل بين العلماء ليس وقتها الآن.

ابن عساكر (ت ٥٧١)، معجم الشيوخ ٨٤٤/٢ • صحيح من حديث قتادة

[٢] [عن أبي بن كعب:] قرَأ رجُلٌ آيةً وقرَأْتُها على غيرِ قراءتِه فقُلْتُ: مَن أقرَأَكَ هذه؟ فقال: أقرَأنيها رسولُ اللهِ ﷺ فانطلَقْتُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقُلْتُ: يا رسولَ اللهِ أقرَأْتَني آيةَ كذا وكذا؟ قال: (نعم) قال الرَّجُلُ: أقرَأْتَني كذا وكذا؟ قال: (نعم إنَّ جِبريلَ وميكائيلَ أتَياني فجلَس جِبريلُ عليه السَّلامُ عن يميني وميكائيلُ عليه السَّلامُ عن يساري فقال جِبريلُ: يا مُحمَّدُ اقرَأِ القُرآنَ على حَرفٍ فقال ميكائيلُ: استزِدْه فقُلْتُ: زِدْني فقال: اقرَأْه على حرفَيْنِ فقال ميكائيلُ: استزِدْه حتى بلَغ سبعةَ أحرُفٍ وقال: اقرَأْه على سبعةِ أحرُفٍ كلٌّ شافٍ كافٍ)

ابن حبان (ت ٣٥٤)، صحيح ابن حبان ٧٣٧ • أخرجه في صحيحه

فلما سمع سيدنا أُبي أن هناك قراءتين بدأ يشك وكانت هناك نزغة شيطان في صدره، وتساءل؛ هل القرآن حق أم لا؟ فضرب النبي –صلى الله عليه وسلم – على صدره وقال: (إن الله أنزل هذا القرآن على سبعة أحرف)، أي: كأن النبي –صلى الله عليه وسلم– يضرب الشك الذى في صدر أُبي. **لذلك كأن سيدنا أُبي يحتاج لتثبيت** ولهذا قرأ عليه النبي –صلى الله عليه وسلم– سورة البينة. ومن اسمها "**البينة**" يظهر معناها: **الواضحة، الموضِّحة، البينة، المُبيِّنة** التي فيها شواهد دالة يقينية على صدق نبوة النبي –صلى الله عليه وسلم– وعلى صدق القرآن.

ماذا يفعل الانسان اذا دخل قلبه شك؟

لذلك مهما بلغ الإنسان من دين أو من علم فقد تمر عليه نزغات شيطانية، وهذا ليس معناه انتكاسًا أو كفرًا –والعياذ بالله–، ولكن هذه النزغات الشيطانية يجب أن يتعامل الإنسان معها على أنه بشر، ويسرع في علاجها، فيحتاج مثلًا أن يقرأ: سورة يونس، أو سورة الأنعام، أو سورة الزلزلة، أو سورة يوسف، وغيرهم. إذًا؛ تمر على الإنسان فترات معينة يحتاج فيها إلى تثبيت.

ويُروى في الأثر قول عن ابن عباس –وضعفه بعض العلماء–: أنه لم ينجُ أحدٌ من هذا حتى إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم، فقال نبينا إبراهيم عليه السلام: {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الموتى}[البقرة ٢٦٠]. وإن كان أغلب المحققين على غير هذا المعنى، ولكن يذكرون في هذه القصة أنها مجرد خاطر بشري من ضمن الخواطر البشرية التي تأتي لأي بشر، وليس هناك أحد فوق هذا الخاطر؛ لذلك يجب أن يُدفَع. وهذا أحد المعاني في تفسير قول الله عز وجل: {أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ}[ص ٤١]، فبدأت بخواطر وهواجس شيطانية، وبدأ الشيطان يستغلها في ظل انعزال الناس عن سيدنا أيوب عليه السلام. كما في سورة (ص) لما قال سيدنا أيوب عندما طال عليه البلاء وانفصل عنه الناس: {أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ}[ص ٤١]، فطلب من ربه أن يصرفه عنه، وكان سيدنا أيوب يتحمل البلاء الجسدي والدنيوي ولكن لا يتحمل بلاء أو خاطرة من الخواطر، أو نزعة من النزعات الشيطانية تأتي في صدره، فطلب من ربنا سبحانه وتعالى أن يصرفها عنه. وكذلك قال سيدنا يوسف عليه السلام: {وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ}[يوسف ٣٣].

إذًا؛ هذا يحدث للبشر كلهم، ومنها تتعلم أنه من طبيعي أن تَمُرَّ بخاطر من الخواطر الشيطانية التي تأتي في صدرك، ويجب أن تتعامل معها بالمواجهة وليس بالهرب. واجه مشكلتك، واسأل فيها. وأغلب المشاكل تُعالج بالمواجهة إلا مسألة الوسوسة، فحل مشكلة الوسوسة والانصراف عنها والشفاء منها يكون بالإعراض.

هل سورة البينة مكيه أم مدنية؟

سورة البينة من جزء عمّ وهي محاطة بسور مكية. وقبلها: القدر، والعلق، والتين، وكلها سور مكية. وبعدها: الزلزلة، والعاديات، والقارعة، والتكاثر، وكلها سور مكية. وجماهير العلماء والمحققين على أن سورة البينة **مدنية**. وهذا لا ينفي أن بعض العلماء ذكروا أنها مكية. ومن قال بأنها مكية نظر فيها إلى بعض الأمور، ومن قال بأنها مدنية نظر فيها إلى أمور أخرى.

فمن أسباب اعتبارها مدنية: ذِكر أهل الكتاب فيها، وذِكر أُبي بن كعب –وهو من الأنصار من المدينة– وقصة قراءة النبي صلى الله عليه وسلم عليه سورة البينة–، وذِكر الزكاة {وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ}[البينة ٥]، والزكاة لم تُفرض إلا في المدينة. هذه الأمور جعلت كثير من المفسرين يقولون بأنها مدنية.

أسلوب سورة البينة:

كما أن أسلوب السورة يحتمل المكي والمدني: **الأسلوب التقريري** ذو الآيات الطويلة هذا أسلوب مدني وليس مكي. فأسلوب القرآن التقريري يقرر حقائق ويناقشها ويبحث عن علتها بآيات مطولة؛ هذا أسلوب مدني. بينما **أسلوب الآيات السريعة والطَرقات السريعة على القلب الغافل** هذا أسلوب القرآن المكي، وختام السورة بالجنة والنار وتقسيم الفريقين يتناسب مع الجو المكي الذي يغمر جزء عمّ كاملًا.

أما ذِكر أهل الكتاب ومناقشتهم والقول بأن هناك صحف مطهرة، وطريقة خطابهم تختلف عن خطاب المشركين، وأن كل واحد له خطاب خاص وطريقة معاملة خاصة، هذا ما جعلهم يقولون إنها مدنية.

اتصال السورة بما قبلها وبما بعدها:

قبل أن ندخل في تفسير السورة نريد أن نتكلم عن اتصال السورة بما قبلها وبما بعدها. وسوف نبدأ من سورة التين.

أقسم الله عز وجل بثلاثة أماكن في سورة التين: {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وهذا الْبَلَدِ الْأَمِينِ}[التين ١–٣]، هذه الأماكن الثلاثة كانت **مهبط الوحي**. التين والزيتون: في الشام، وقيل أن الشام مكان رسالة إبراهيم وعيسى. طور سنين: في سيناء، حيث كلم الله –عز وجل– سيدنا موسى. والبلد الأمين: مهبط الوحي على النبي –صلى الله عليه وسلم–.

وعلى ماذا أقسم الله عز وجل بالأماكن الثلاثة؟ {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[التين ٤] أي أن الإنسان لن يصل إلى أعلى درجة من العلو والتشريف إلا بالاتصال بالوحي، وأن الإنسان مخلوق في أحسن تقويم، أي: فطرة الإنسان كعجينة قابلة أن يُشكَّل منها مخلوق في أحسن تقويم وفي أعلى عليين، لكن للأسف أيضًا هذه العجينة قابلة أن تُشكل إلى أن يهبط إلى أسفل سافلين.

إذًا؛ الإنسان قابل لأن يصل إلى أعلى عليين إذا اتصل بالوحي، وأيضًا نفس الشخص الذي قد يكون من أعلم العلماء وأعبد العُبَّاد؛ هو نفسه الذي قد يتحول في مراحل حياته –والعياذ بالله– إلى أن يهبط إلى أسفل سافلين. فقد يصل إلى أعلى عليين أو يهبط إلى أسفل سافلين. هذه الفروقات حدثت بالوحي.

السورة التي تليها: العلق: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}[العلق ١]، في سورة "اقرأ" يجب أن نستمر في إيصال "اقرأ" للناس؛ لأن هناك من سيهددك إذا بلَّغتَ القرآن فقال الله عز وجل: {كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب}[العلق ١٩].

السورة التالية: القدر: وفيها **تشريف القرآن وليلة القدر** التي نزل فيها القرآن: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ}[القدر ١-٣]، فذُكر المكان المشرَّف المكرَّم في التين، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في مكة، والزمان الذي نزل فيه القرآن في ليلة القدر، فالسياق متصل ببعضه، مع اتصاله بالوحي السابق من أول سيدنا إبراهيم وسيدنا موسى وسيدنا عيسى، ثم مواجهة أهل الباطل لمنع انتشار القرآن، وأن القرآن نزل في ليلة مباركة كلها بركة تشهدها الملائكة ويشهدها سيدنا جبريل وغير ذلك...

ثم تأتي سورة البينة في هذا السياق وتقول: **رحلة وصول الوحي** من بداية {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ}[التين ١] – بل من أول {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ}[البروج ١] وهم يقتلون الناس لكي لا يصل الوحي– رحلة وصول الوحي كان لا بد أن تحدث لأن المجتمع وصل لقمة الظلام والفساد، وهذا أحد معاني الآية الأولى في سورة البينة: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ * رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً}[البينة ١-٢].

موضوعات سورة البينة:

سورة البينة كعادة الجزء الثلاثين قسمت الناس إلى جزأين: خير البرية وشر البرية. بالملاحظة تجد أن جزء عم يهتم بتقسيم الناس إلى فريقين، فتجد: الأبرار والفجار، الأشقى والأتقى، من زكاها ومن دساها، فريق في عليين وفريق في أسفل سافلين وفي سجين، من أوتي كتابه بيمينه ومن أوتي كتابه من وراء ظهره،

{إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا}[النبأ ٣١] و{إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِّلطَّاغِينَ مَآبًا}[النبأ ٢١-٢٢]. وهكذا طوال الجزء. فتجد طوال جزء عم الاهتمام بتقسيم الناس إلى فريقين؛ {فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ}[النازعات ٣٧-٤١]. {أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ}[العلق ١١] و{أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ}[العلق ١٣]، {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}[الزلزلة ٧-٨]، {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ}[القارعة ٧] وعكسه { فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ}[القارعة ٩-١١].

فبالرغم من قصر السور إلا أنها تركز على تقسيم الناس إلى فريقين. وأيضًا خُتمت سورة البينة بهذا التقسيم.

وبالرغم من أنها مدنية وجاءت وسط ترتيب مكي إلا أنها لم تُخالف النسق ولم تُخالف سياق السور بتقسيم الناس إلى جزأين.

نبدأ في تفسير السورة. يقول الله عز وجل بسم الله الرحمن الرحيم:

{ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ * رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ}[البينة ١-٣].

نستفيض في الحديث عن إشكالية أول آيه:

{ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ}[البينة ١] بالرغم من أن هذه السورة ضمن جزء عم ونقرأها كثيرًا؛ إلا أن هذه الآية قال عنها أحد أئمة التفسير –وهو الإمام الواحدي وهو من المتقدمين في التفسير عام أربعمائة هجريًا تقريبًا–: "هذه الآية من أشكل آيات القرآن نظمًا وإعرابًا وتفسيرًا، واختلطت على كثير من المفسرين حتى لا تكاد تجد فيها رأيًا صحيحًا".

تخيل!

جمع الإمام الرازي –وهو من أهل الكلام العباقرة – الأقوال التي حاولت حل هذه الإشكالية فوصلت إلى **خمسة عشر قولًا!** وحاول أن ينهي إشكال الآية. فيتبين أن هذا الأمر عظيم! ولن أستفيض فيه ولكن سنخرج بالخلاصة فقط حتى لا نتعمق في الإشكاليات. وإذا أحببت أن تقرأ في التفاسير ستجد

أن الأمر استفاضوا فيه. وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية أجرى بحثًا طويلًا في هذه الآية، وجمع شيخ الإسلام ثلاثة أقوال وأخذ يرد على كل قول، وأختار قولًا قد جمعه من أقوال معينة.

ومن أفضل من وجدته حاول فك الإشكال بطريقة سهلة هو الإمام ابن عاشور في "التحرير والتنوير" وقال: "هناك خمسة إشكالات في الآية". والإمام الفخر الرازي قال بأن هناك خمسة عشر ولكن ابن عاشور حاول تجميع أصول الإشكالات فأصبحت خمسة إشكالات.

الخلاف المحوري الذي سنتكلم فيه عن { لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ}[البينة ١].

معنى الآية إجمالًا بالفهم العام: أي: لم يكن الكفار –سواء من أهل الكتاب أو المشركين– لينفكوا عما هم فيه من الكفر والشرك إلا عندما جاءت البينة. هذا هو المعنى العام المتبادر الذي اختاره كثير من المفسرين على أنه المعنى الصحيح.

ولكن لماذا تركه بعض المفسرين بالرغم من أنه يتماشى مع معنى الآية؟ فأين الإشكال؟ الإشكال في الآية الرابعة، تقول: {وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ}[البينة ٤]. هل البينة جعلتهم ينفكون عن الكفر، أم أن البينة جعلتهم يتفرقون في الكفر؟

نعطي مثالًا: تقول قرية كذا كافرة، وهذه القرية لن تترك الكفر إلا حينما يأتيهم القرآن، وتقول في نفس سياق كلامك أن هذه القرية الكافرة حينما جاءها القرآن **ازدادت كفرًا!** فهنا القرآن سيجعلها تترك الكفر أم سيجعلها تزداد كفرًا؟ –وهذا **بفرض** أن البينة هي القرآن أو النبي صلى الله عليه وسلم وسنأتي للخلاف في كلمة (البينة)–.

الهدف من مجالس التفسير هذه :

** في مجالسنا لا أريد أن أشرح معاني عامة إجمالية دون ربط الكلام الذي أقوله بألفاظ الآية! بل أريد ربط كلامي بألفاظ الآية، أريد أن تخرج من المجلس وقد فهمت ألفاظ الآية، بحيث أنه حينما تصلي بالسورة تكون مرتبطًا بهذا الكلام ولست مرتبطًا بالمعاني التي أقولها فقط، بل أريد أن تخرج وقد فهمت الكلام. فأحيانًا مثلًا: أشرح سورة فمن أمامي يسمع كلامًا جميلًا لكنه لا يفهم ما هي علاقة هذا الكلام الجميل بالآيات؟! وهذا يحدث كثيرًا، مثلًا: أقرأ الآية فأقرأ تفسير أحدهم يقول كلامًا مبهرًا أشعر معه أن إيماني قد زاد، لكن أريد أن أقول له ما هي علاقة الذي قلته بالآية؟! أنت لم تذكر من أين حصلت على هذه المعاني من الآية! وهذا يحدث كثيرًا جدًّا خاصةً للبلاغيين الأقوياء، الذين يعتقدون أن من يقرأون لهم على نفس المستوى البلاغي، فهو يعتبر أن نقاط كثيرة لا تحتاج للشرح، فيقول لك انظر

إلى إعجاز الآية ثم يقول معنى ما، لكن لا يذكر علاقة المعنى الذي قاله بألفاظ الآية! فأنا أريد أن نفهم تركيبة الآية، كما يقول البلاغيون: التركيب الخاص بألفاظ الآية.

أقوال العلماء عن أول آيه :

نقول: أين الإشكال؟ هو: هل البينة فرقتهم أم البينة جعلتهم يتركون الكفر؟ من وجد أن هناك مشكلة قال: **كلمة {منفكين}** ليس معناها منفكين عن الكفر. لذلك؛ الثلاثة أقوال المشهورة في تفسير الآية وهي أقوى ثلاثة أقوال في تفسير الآية والتي ذكرها شيخ الإسلام واكتفى بها وحاول أن يرد عليها ويختار بينها؛ في معنى كلمة {منفكين}.

نبدأ بالقول الأول: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ}[البينة ١] منفكين: أي تاركين الكفر، منفكين عن الكفر، منفكين عن الضلال، منفكين عن الظلام، ولن يحدث لهم هذا إلا ببينة. أي: كأن الله عز وجل يقول للمسلمين: الواقع المظلم الذي كانت تعيشه البشرية لم يكن ليتغير إلا بمجيء القرآن.

عندما تقرأ عن الجاهلية –وليس فقط جاهلية العرب بل واقع الكرة الأرضية قبل مجيء الإسلام– تظن أنه لا يمكن أن تنصلح هذه الكرة! يقاتل العرب بعضهم البعض مائة عام بسبب جمل، وهناك من يئد ابنته، وأهل الدين من النصارى الذين انفصلوا عن الدنيا وعاشوا رهبانًا في صوامع، والملوك هم الذين سيطروا على الدين وأصبح الدين فاسدًا، أحبار اليهود يخدعون الناس ويخبئون معاني التوراة الحقيقية، وبقية العوام من اليهود لا يعرفون كيف يقرأون في التوراة {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ}[البقرة ٧٨]، فيُخدعون بكل سهولة، حتى إن اليهود من الممكن أن يكتبوا التوراة بأيديهم ويقولون للناس هذا من عند الله، والناس تُصدق! انحراف ديني شديد، انحراف أخلاقي، حروب بين الرومان والفرس، حروب حتى بين أهل الدين الباطل وبين الوثنيين عُباد النار. فتظن أنه من المستحيل أن ينقلب هذا الواقع إلى واقع مُوَّحِد!

فيقول الله عز وجل: هذا الواقع لم يكن ليتغير إلا ببينة واضحة ظاهرة.

قد يُهيئ لك –إذا درست الواقع قبل الإسلام– أن هذه البينة لا بد أن تكون معجزة مادية تنزل من السماء، أو مَلك ينزل من السماء ينادي: أيها الناس اعبدوا الله، أو سلم يرقوا فيه للسماء أو ينبوعًا ينفجر من الأرض، كما كان يتخيل المشركون أن البينة التي تُحدث انقلابًا في البشرية حتى يعودوا للدين الحق. تظن أن هذا لن يحدث إلا بخوارق! ولكن يقول الله عز وجل: هؤلاء يمكن أن ينفكوا **ببينة**، وما هي هذه البينة؟ هي: {رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو}[البينة ٢] وفقط!

وكلمة: (يتلو) هذه في القرآن مبهرة تُحدِث تغييرات كبيرة، أحدثت تغييرات في سورة الجن، وأحدثت تغييرات في سورة الجمعة {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ}[الجمعة ٢]، فبعدما كانوا أميين لا يعلمون شيئًا ويتقاتلون على أشياء حقيرة أصبحوا {وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}[الجمعة ٢] واستطاعوا أن يلحقوا بركب السابقين.

هذا هو المعنى الأول. فإذا اخترنا هذا المعنى -وأنا أميل لهذا المعنى- فكيف نرد على من قال بوجود إشكال: هل البينة جعلتهم يؤمنون أم أن البينة جعلتهم يتفرقون؟ البعض يقول: إنهم تفرقوا في الكفر والإيمان، لكن هذا لم يحل الإشكال.

معنى الآية الأولى {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ}[البينة ١] أي: المؤمنين منهم، عمن تتكلم الآية؟ عن المؤمنين؛ الذي آمن من أهل الكتاب والذي آمن من المشركين. ربنا عز وجل قال على بعض الناس سينفكون —الذين سيؤمنون-، بعض الناس سيظل كافرًا. فليس المقصود في الآيتين أن كل الناس ستؤمن أو أن كل الناس ستكفر.

أعيد مرة أخرى، قلنا إن هناك أقوال سنقول في كلمة "**منفكين**":

القول الأول: لم يكونوا تاركي الكفر إلا بقرآن، إلا ببينة، أي أن الواقع لن يتغير إلا بذلك. أي واقع مظلم في الدنيا -وهذا كلام تربوي نستفيد به في حياتنا- لن يتغير إلا ببينة، وهذه البينة نموذج يُطبِّق القرآن ويتلو على الناس القرآن. وهذا أمر حاسم منتهي. إذا كان هناك مصلحة حكومية بها مشاكل مثل الرشاوي والظلم والفساد؛ فلن تنقلب إلا بنموذج يطبق الدين الحق ويعلم الناس القرآن.

مثل ما جاء في سورة الفرقان؛ نريد أن نصل إلى حالة الفرقان أو الوضوح في المجتمع بين الحق والباطل ولن يحدث هذا إلا بعباد الرحمن الذين يقرأون القرآن.

أي تغيير في الواقع من حالة الظلام الدامس إلى حالة النور الساطع التي سماها الله عز وجل "**البينة**" وسماها "**الفرقان**"، لن يحدث إلا بنموذج عملي بقرآن يمشي على الأرض.

ولهذا القول معنى ثاني والذي تبناه الإمام الزمخشري، وذكر نفس المعنى الذي ذكرناه {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ}[البينة ١] بأنهم: لم يكونوا تاركين للكفر إلا بعد مجيء البينة، ثم أضاف: {وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ}[البينة ٤]. **قال**: بأن في الآية الأولى لا يخبر الله عز وجل عنهم بل يعرض أقوالهم، أي: هم كانوا يقولون قبل البعثة: لن نترك ما نحن عليه إلا ببينة.

نقرب الأمر بمثال: عندما تناقش أحد العلمانيين وتريد أن تقنعه أن العلمانية فكرة خاطئة، وأن العلمانية هي فصل جزء من الدين عن الحياة، فبعد نقاشات طويلة معه قال لك: يجب أن تقنعني، حينها تقول

—وتترك الحديث عن البينة– لم يكن العلمانيون تاركين ما هم فيه إلا ببينة، ولكن –للأسف– وما تفرق العلمانيون إلا من بعد ما شرحنا لهم البينة. فكأن الله يقول ظل أهل الكتاب يقولون نريد البينة، لكن –للأسف– لم يؤمنوا! {وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ}[البينة ٤] فكأن هناك نوع من التحسر.

وأي معنى قرآني لكي يكون صحيحًا –في الغالب– لا بد أن يكون له شواهد قرآنية أخرى.

فما هي الشواهد القرآنية لهذا المعنى الثاني؟

فهذا المعنى مثل قول الله تعالى: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ}[فاطر ٤٢]، أو {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا}[الأنعام ١٠٩]. ولكن {فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ}[فاطر ٤٢] ماذا حدث؟ {مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا}[فاطر ٤٢]، أو {قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ}[الأنعام ١٢٤]، وكذلك مثل قول اليهود:{إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ}[آل عمران ١٨٣]، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال لهم:{قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}[آل عمران ١٨٣]، فقد جاءك ما طلبت وقلت عنه بينة! فمعنى هذه الآية مثل قول الله عز وجل:{فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ}[البقرة ٨٩]!

إذًا؛ معنى الآية في سورة البينة بهذا التفسير أي: ظل كثيرٌ من أهل الكتاب والمشركين يقولون لن نؤمن حتى نرى بينة، فلما جاءتهم البينة إذا هم يتفرقون ويكفرون.

فهذا هو **القول الأول**: –الذي أميل له– أن نترك الآية على معناها المتبادر إلى الذهن { لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ}[البينة ١] أي: تاركي ما هم فيه من الكفر حتى تأتيهم البينة.

القول الثاني: –وسأكتفي به حتى لا تتعقد الأمور– وهذا هو القول الذي رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وأجرى فيه بحثًا طويلًا، قال معنى الآية ليس كذلك؛ لكي يخرج من الإشكال الظاهري ما بين الآية الأولى والآية الرابعة.

◆ ملخص القول الأول:

لكن قبل أن أعرض رأي شيخ الإسلام أود أن أقول لكم ملخصًا في القول الأول:

التفسير: العالم لن يخرج من ظلام الشرك والكفر إلا لما تأتيهم البينة، وربنا عز وجل قال في نفس السورة لما جاءتهم البينة لم يخرجوا. فحل الإشكال بطريقتين.

الطريقة الأولى: أن جزء منهم آمن والآخر كفر. فالآية الأولى تتكلم عن مجموعة، والآية الرابعة تتكلم عن مجموعة أخرى؛ المجموعة الأولى كانت البينة بالنسبة لهم هدى وتوفيق، والمجموعة الثانية كانت البينة عليهم عمى.

فريق من المفسرين حلَّ الإشكال بطريقة مختلفة فقال في الآية الأولى: يُخبر الله -عز وجل- بكلام المشركين وأهل الكتاب حيث كانوا يقولون لن ننفك عمَّا نحن فيه حتى تأتينا البينة؛ بينما الآية الرابعة تحكي عن موقفهم لما جاءت البينة، حيث عرفوا النبي -صلى الله عليه وسلم- بقولهم لبعض: (أهو هو؟! وقالوا: نعم)، وتأكدوا من أوصافه وأنه النبي الخاتم المذكور عندهم في التوراة، ثم كان قرارهم: (عداوته ما بقيت!)[٣]، مثلما قال الله عز وجل: {فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ}[البقرة ٨٩].

القول الثاني قول شيخ الإسلام قال: منفكين اسم مفعول معناه متروكين؛ أي أن الله عز وجل لن يتركهم حتى يأتيهم ببينة وهذا مشابه لمعنى الآية {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حتى نَبْعَثَ رَسُولًا}[الإسراء ١٥]، ما كان الله عز وجل ليترك أهل الكفر من أهل الكتاب وأهل الشرك في ضلالهم إلا ويرسل إليهم بينة حتى يحاسبهم عليها؛ أي أن الله عز وجل لن يتركهم سدى، فقالوا تفسير هذه الآية هو نفس تفسير آية {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حتى نَبْعَثَ رَسُولًا}[الإسراء ١٥]، وآية {أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى}[القيامة ٣٦]، وآية: {أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ}[الزخرف ٥]، أتظنون أن الله عز وجل لن ينزل قرآنًا وذكرًا لأنكم قومًا مسرفين! لا؛ بل سيستمر إنزال الذكر بالرغم من فسقكم؛ حتى يؤمن من يؤمن ويزداد الكافر كفرًا وتحق عليه البينة، {لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ}[الأنفال ٤٢].

إذًا؛ شيخ الإسلام قال معنى الآية أن الله عز وجل ما كان ليترك أهل الضلال في ضلالهم حتى يبعث إليهم بينة فينقسموا بعدها إلى فريقين؛ إما مهتدٍ على بينة أو ضالٍ على بينة. واستشهد بقول الله عز وجل: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ}[التوبة ١١٥]، هذه هي البينة.

---

[٣] وذكر ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عمن حدثه عن صفية بنت حيي أنها قالت : لم يكن من ولد أبي وعمي أحد أحب إليها مني، لم ألقها في ولد قط إلا أخذاني دونه، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قباء، نزل في بني عمرو بن عوف، فغدا إليه أبي وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين، فوالله ما جاءا إلا مع مغيب الشمس، فجاءا فاترين كسلين ساقطين يمشيان الهوينا، فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما نظر إلي واحد منهما، فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي : أهو هو؟ قال : نعم والله، قال : تعرفه بنعته وصفته؟ قال : نعم والله، قال : فماذا في نفسك منه، قال : عداوته والله ما بقيت.
سيرة ابن هشام (١: ٥١٧)، وعيون الأثر؛ لابن سيد الناس (١: ٢٧٧)، والروض الأنف؛ للسهيلي (٢: ٣٧٦).

وهناك قول ثالث لكن سأكتفي بالقولين السابقين منعًا للتشتت.

لا بد أن تعلم هذه الأقوال جيدًا لأنك ستُسأل في معاني هذه الآيات، لا بد أن تعرف هذه الأقوال قبل أن تعرف المعاني المترتبة والمعاني الإيمانية والمعاني التربوية، لا بد أولًا أن تعرف معنى الآية نفسها.

خلاصة القول الأول: أنهم لن يتركوا الكفر حتى تأتيهم البينة فينفكوا عن هذا الكفر { لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين}، منفكين أي: تاركين. فهنا منفكين كـ"اسم فاعل" بمعنى: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين تاركي الكفر والشرك إلا عندما تأتي بينة.

والقول الثاني: منفكين فُسرت كـ"اسم مفعول"، بمعنى: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين متروكين من عقاب الله ومن سنة الله في عقابهم حتى تأتيهم البينة.

ما يترتب على ذلك؟ وما هو دورنا بعد فهم هذا المعني؟

كما قلنا أنه يجب على أهل الحق أن يصارعوا الباطل بالبينة. أهل الحق يسميهم العلماء "قدر الله في الأرض"، هؤلاء هم الطائفة المنصورة التي سيجعلها الله عز وجل حُجةً على الخلق، أي: شهداء على الناس. وجود طائفة من الناس تطبق الدين حُجة على بقية الناس، لذلك لن تغيب هذه الطائفة من على وجه الأرض أبدًا إلى يوم القيامة حتى تظل حُجة الله عز وجل قائمة على البشرية، (لا تزال طائفة من أمتي على الحق قائمين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم)[٤]. هذه الطائفة ستظل موجودة ليس فقط لأنهم ثبتوا وظلوا صامدين وثابتين على الحق -هذا سبب- ولكن هناك سبب آخر وهو: أنهم قدر الله في الأرض لا يمكن أن يغيبوا، لا بد أن يظلوا موجودين ليكونوا حُجةً على الناس. عندما يأتي من يقول: لا أعلم الحق، فيقال له: لا، كان هناك فلان صدع بالحق وفلان قال الحق، فعندما تقول: أنا لا أعلم الحق، أنا غُرر بي، يقال لك: لا؛ {إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا}[المؤمنون ١٠٩]. هذا الفريق سيظل حجةً على الناس إلى يوم القيامة، فيجب على أهل الحق أن يقوموا بهذا الدور مهما بالغ أهل الباطل في كفرهم وأسرفوا في ذلك، مثل قوله عز وجل: {أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ}[الزخرف ٥]،

مهما أسرف أهل الباطل في الباطل يجب أن يكون هناك صوت للحق ولو كان ضعيفًا ولو كان ذلك بالكلام فقط، فلا بد أن يكون موجودًا!

كيف يحاسب الله أهل الفترة ؟

[٤] لا تزالُ طائفةٌ من أمَّتي ظاهرينَ على الحقِّ، لا يضرُّهم من خذلَهم، ولا من خالفَهم إلى قيامِ الساعةِ
ابن تيمية (ت ٧٢٨)، مجموع الفتاوى ٤١٦/٢٨ • ثبت من وجوه كثيرة

مسألة أهل الفَترة –قبل البعثة– فيها خلاف ونحن لدينا القواعد القرآنية العامة التي تُطمئننا على أهل الفترة أيًّا كان الراجح فيها فربنا يقول: {وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا}، لأن الخلاف هنا طويل.

القول الأول: هناك من قال: **كلهم سيحاسبون**، من مات فيهم على الكفر يحاسب على الكفر، مثلما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (رأيت عمرو بن لحي يجر أمعاءه في النار هو أول من سيب السوائب)[٥]، وقد مات في الجاهلية وناس كثيرون ماتوا في الجاهلية وردت عنهم أحاديث أنهم في النار، وقد ماتوا في الفترة، في حين أن في أحاديث أخرى النبي –صلى الله عليه وسلم–، ذكر أربعة أصناف للبشر منهم من مات في أهل الفَترة يقول: (يا رب لم يأتني رسول)[٦]، فيمتحنه الله عز وجل امتحانًا يوم القيامة ويخرج لهم عنقًا من النار.

أيًّا كان؛ نحن عندنا قواعد ثابتة تطمئننا أن الله عز وجل لا يظلم أحدًا هي { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا}[الإسراء ١٥].

ما معني كلمة "منفكين"؟

{ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ}[البينة ١] انتبه لهذه اللفظة الجميلة "منفكين" ماذا تعني منفك؟ أي: شيئين ملتصقين ثم يحدث انفصال كلي وليس انفصالًا جزئيًّا، لذلك أغلب التغييرات التي تتم بغير مناهج القرآن هي تغيرات جزئية وليست تغيرات كلية، أي تغيير وإصلاح في الأرض يتم بغير رسول يتلو –أو بغير قرآن يمشي، أو بغير عباد الرحمن الذين يقرأون الفرقان– هو تغيير جزئي لا يُحدث الانفكاك في الأفكار الضالة عن بعضها. لكي يُترك هذا الواقع المظلم كُليَّةً يجب أن تأتي البينة. هرقل سأل: "هل يرتد أحد منهم سخطةً عن دينه، قال: لا"[٧]. فعندما

---

[٥] [عن أبي هريرة:] رَأَيْتُ عَمْرَو بنَ عامِرِ بنِ لُحَيٍّ الخُزاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ في النارِ وكانَ أوَّلَ مَن سَيَّبَ السَّوائِبَ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٣٥٢١ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٣٥٢١) واللفظ له، ومسلم (٢٨٥٦)

[٦] [عن الأسود بن سريع وأبي هريرة:] أربعةٌ يحتجون يومَ القيامةِ: رجلٌ أصمُّ لا يسمعُ شيئًا. ورجلٌ أحمقُ، ورجلٌ هرِمٌ، ورجلٌ مات في فترةٍ. فأمّا الأصمُّ فيقولُ: ربِّ لقد جاء الإسلامُ وما أسمعُ شيئًا. وأمّا الأحمقُ فيقولُ: ربِّ جاء الإسلامُ وما أعقلُ شيئًا، والصبيانُ يَحْذِفونني بالبَعْرِ. وأمّا الهَرِمُ فيقولُ: ربِّ لقد جاء الإسلامُ وما أعقلُ شيئًا. وأما الذي مات في الفترةِ فيقولُ: ربِّ ما أتاني لك رسولٌ. فيأخذ مواثيقَهم ليطيعنَه، فيُرْسَلُ إليهم: أنِ ادخلوا النارَ، فمن دخلها كانتْ عليه بردًا وسلامًا، ومن لم يدخلْها سُحِبَ إليها
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الجامع ٨٨١ • صحيح • أخرجه أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢٢٥/٢)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص١٦٩)

[٧] [عن أبي سفيان بن حرب:] انْطَلَقْتُ في المُدَّةِ الَّتي كَانَتْ بَيْنِي وبَيْنَ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قَالَ: فَبيْنَا أنَا بالشَّأْمِ، إذْ جِيءَ بكِتَابٍ مِنَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى هِرَقْلَ، قَالَ: وكَانَ دَحْيَةُ الكَلْبِيُّ جَاءَ به، فَدَفَعَهُ إلى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ بُصْرَى إلى هِرَقْلَ، قَالَ: فَقَالَ هِرَقْلُ: هلْ هَا هُنَا أحَدٌ مِن قَوْمِ هذا الرَّجُلِ الذي يَزْعُمُ أنَّه نَبِيٌّ؟ فَقالوا: نَعَمْ، قَالَ: فَدُعِيتُ في نَفَرٍ مِن قُرَيْشٍ، فَدَخَلْنَا علَى هِرَقْلَ فَأُجْلِسْنَا بيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: أيُّكُمْ أقْرَبُ نَسَبًا مِن هذا الرَّجُلِ الذي يَزْعُمُ أنَّه نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أبو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ: أنَا، فأجْلَسُوني بيْنَ يَدَيْهِ، وأَجْلَسُوا أصْحَابِي خَلْفِي، ثُمَّ دَعَا بتَرْجُمَانِهِ، فَقَالَ: قُلْ لهمْ: إنِّي سَائِلٌ هذا عن هذا الرَّجُلِ الذي يَزْعُمُ أنَّه نَبِيٌّ، فإنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ، قَالَ أبو سُفْيَانَ: وايْمُ اللَّهِ، لَوْلَا أنْ

يحدث الانفكاك التام ويخالط الإيمان القلب؛ هذا الانفكاك إذا حدث كليةً لا يعود أبدًا. قال هرقل: "وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب".

ف{منفكين} معناها: انفكاك، انفصال. وقيل أن أحد معاني الفك: أن يبتعدوا عن بعضهم البعض، فإذا الفم فُتح ولكن الشفة ملتصقة ببعضها البعض فلن يظهر الكلام، مثلًا: شخص عنده التصاق الشفة العلوية بالشفة السفلية لا يحدث انفكاك أي: ابتعاد. فالانفكاك انفصال تام، شيء فُك من شيء، كان ملتصقًا مختلطًا بلحمه ودمه وحدث هذا الانفصال. وهذا لن يحدث إلا ببينة.

ومن أجمل الكتب التي استغرقت في وصف الفترة التي قبل الإسلام وبيَّنت كم أن الإسلام سبب نقلة عالمية؛ كتاب أبو الحسن الندوي: "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين"، كتاب رائع. كثير من الكُتَّاب يقتبسون منه لأنه استفاض في شرح كيف أن المسلمون صنعوا **نقلة عالمية**، وكيف أنهم عندما تخلوا عن تطبيق دينهم الحقيقي حدث تراجع على مستوى الأخلاق العالمي.

يُؤْثِرُوا عَلَيَّ الكَذِبَ لَكَذَبْتُ، ثُمَّ قَالَ: لِتَرْجُمَانِهِ، سَلْهُ كَيْفَ حَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: هو فِينَا ذُو حَسَبٍ، قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِن آبَائِهِ مَلِكٌ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ ما قَالَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: أَيَتَّبِعُهُ أَشْرَافُ النَّاسِ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ، قَالَ: يَزِيدُونَ أَوْ يَنْقُصُونَ؟ قَالَ: قُلْتُ لا بَلْ يَزِيدُونَ، قَالَ: هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ منهمْ عن دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فيه سَخْطَةً له؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: تَكُونُ الحَرْبُ بيْنَنَا وبيْنَهُ سِجَالًا يُصِيبُ مِنَّا ونُصِيبُ منه، قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، ونَحْنُ منه في هذِهِ المُدَّةِ لا نَدْرِي ما هو صَانِعٌ فِيهَا، قَالَ: واللَّهِ ما أَمْكَنَنِي مِن كَلِمَةٍ أُدْخِلُ فِيهَا شيئًا غيرَ هذِه، قَالَ: فَهَلْ قَالَ هذا القَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لَا، ثُمَّ قَالَ لِتُرْجُمَانِهِ: قُلْ له: إنِّي سَأَلْتُكَ عن حَسَبِهِ فِيكُمْ، فَزَعَمْتَ أنَّه فِيكُمْ ذُو حَسَبٍ، وكَذلكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ في أحْسَابِ قَوْمِهَا، وسَأَلْتُكَ: هلْ كانَ في آبَائِهِ مَلِكٌ، فَزَعَمْتَ أنْ لَا، فَقُلْتُ: لو كانَ مِن آبَائِهِ مَلِكٌ، قُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ آبَائِهِ، وسَأَلْتُكَ عن أتْبَاعِهِ أضُعَفَاؤُهُمْ أمْ أشْرَافُهُمْ، فَقُلْتَ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ، وهُمْ أتْبَاعُ الرُّسُلِ، وسَأَلْتُكَ: هلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بالكَذِبِ قَبْلَ أنْ يَقُولَ ما قَالَ، فَزَعَمْتَ أنْ لَا، فَعَرَفْتُ أنَّه لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الكَذِبَ علَى النَّاسِ، ثُمَّ يَذْهَبَ فَيَكْذِبَ علَى اللَّهِ، وسَأَلْتُكَ هلْ يَرْتَدُّ أحَدٌ منهمْ عن دِينِهِ بَعْدَ أنْ يَدْخُلَ فيه سَخْطَةً له، فَزَعَمْتَ أنْ لَا، وكَذلكَ الإيمَانُ إذَا خَالَطَ بَشَاشَةَ القُلُوبِ، وسَأَلْتُكَ هلْ يَزِيدُونَ أمْ يَنْقُصُونَ، فَزَعَمْتَ أنَّهُمْ يَزِيدُونَ وكَذلكَ الإيمَانُ حتَّى يَتِمَّ، وسَأَلْتُكَ: هلْ قَاتَلْتُمُوهُ فَزَعَمْتَ أنَّكُمْ قَاتَلْتُمُوهُ، فَتَكُونُ الحَرْبُ بيْنَكُمْ وبيْنَهُ سِجَالًا يَنَالُ مِنكُم وتَنَالُونَ منه، وكَذلكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى ثُمَّ تَكُونُ لهُمُ العَاقِبَةُ، وسَأَلْتُكَ هلْ يَغْدِرُ فَزَعَمْتَ أنَّه لا يَغْدِرُ، وكَذلكَ الرُّسُلُ لا تَغْدِرُ، وسَأَلْتُكَ: هلْ قَالَ أحَدٌ هذا القَوْلَ قَبْلَهُ، فَزَعَمْتَ أنْ لَا، فَقُلْتُ: لو كانَ قَالَ هذا القَوْلَ أحَدٌ قَبْلَهُ، قُلْتُ: رَجُلٌ ائْتَمَّ بقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: بمَ يَأْمُرُكُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَأْمُرُنَا بالصَّلَاةِ والزَّكَاةِ والصِّلَةِ والعَفَافِ، قَالَ: إنْ يَكُ ما تَقُولُ فيه حَقًّا، فإنَّه نَبِيٌّ، وقدْ كُنْتُ أعْلَمُ أنَّه خَارِجٌ، ولَمْ أكُ أظُنُّهُ مِنكُمْ، ولو أنِّي أعْلَمُ أنِّي أخْلُصُ إلَيْهِ لَأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، ولو كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عن قَدَمَيْهِ، ولَيَبْلُغَنَّ مُلْكُهُ ما تَحْتَ قَدَمَيَّ، قَالَ: ثُمَّ دَعَا بكِتَابِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقَرَأَهُ: فَإِذَا فيه بسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِن مُحَمَّدٍ رَسولِ اللَّهِ إلى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ علَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أمَّا بَعْدُ: فإنِّي أدْعُوكَ بدِعَايَةِ الإسْلَامِ، أسْلِمْ تَسْلَمْ، وأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فإنْ تَوَلَّيْتَ فإنَّ عَلَيْكَ إثْمَ الأرِيسِيِّينَ، و: {يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بيْنَنَا وبيْنَكُمْ، أنْ لا نَعْبُدَ إلَّا اللَّهَ} إلى قَوْلِهِ: {اشْهَدُوا بأنَّا مُسْلِمُونَ} فَلَمَّا فَرَغَ مِن قِرَاءَةِ الكِتَابِ، ارْتَفَعَتِ الأصْوَاتُ عِنْدَهُ وكَثُرَ اللَّغَطُ، وأُمِرَ بنَا فَأُخْرِجْنَا، قَالَ: فَقُلْتُ لأصْحَابِي حِينَ خَرَجْنَا: لَقَدْ أمِرَ أمْرُ ابْنِ أبِي كَبْشَةَ، إنَّه لَيَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأصْفَرِ، فَما زِلْتُ مُوقِنًا بأَمْرِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّه سَيَظْهَرُ حتَّى أدْخَلَ اللَّهُ علَيَّ الإسْلَامَ، قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَدَعَا هِرَقْلُ عُظَمَاءَ الرُّومِ فَجَمَعَهُمْ في دَارٍ له، فَقَالَ: يا مَعْشَرَ الرُّومِ، هلْ لَكُمْ في الفَلَاحِ والرُّشْدِ آخِرِ الأبَدِ، وأَنْ يَثْبُتَ لَكُمْ مُلْكُكُمْ، قَالَ: فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الوَحْشِ إلى الأبْوَابِ، فَوَجَدُوهَا قدْ غُلِّقَتْ، فَقَالَ: عَلَيَّ بهِمْ، فَدَعَا بهِمْ فَقَالَ: إنِّي إنَّما اخْتَبَرْتُ شِدَّتَكُمْ علَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ مِنْكُمُ الذي أحْبَبْتُ فَسَجَدُوا له ورَضُوا عنْه.

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٤٥٥٣ • [صحيح]

القول الثاني في أهل الفترة :

المعنى الثاني والذي قاله شيخ الإسلام ابن تيمية وهذا قاله قبله المفسر ابن عطية وشيخ الإسلام ابن تيمية استفاض فيه واختاره الشيخ عطية سالم في تتمة أضواء البيان، أضواء البيان هذا تفسير الشيخ الشنقيطي لكنه لم يكمله، الذي أكمله في آخر جزء منه الشيخ عطية سالم اختار أيضًا هذا القول.

معناه أن الله عز وجل له سنن في العقاب، هذه السنن لكي تتم على الناس، يجب أولًا أن يبين الله لهم، ربنا قال: {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ * وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ * فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى}[الليل ١٢-١٥]، فبعد أن بيَّن الله عز وجل كأنه أوجب على نفسه سبحانه أنه سيبين للناس فلن يموت أحدٌ إلا وستأتيه رسالة خاصة، أو سيطلعه على الرسالة العامة؛ لذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول في صحيح مسلم: (والله لا يسمع بي يهوديّ ولا نصرانيّ من هذه الأمة ثم يموت- أي: على اليهودية أو النصرانية - إلا كان من أصحاب النار)[٨]. فالنبي -صلى الله عليه وسلم- لم يقل كل يهودي ونصراني يموت هو من أصحاب النار، كيف بدأها.

من مات علي الكفر نقول أنه من أهل النار ؟

وإن كان عندنا في أحكام الدنيا هذا قطع عندنا هذا إجماع؛ عندما يموت يهودي أو نصراني نحن نقطع أنه من أهل النار، هذه نسميها أحكام الدنيا المجمع عليها. أما أحكام الآخرة: كان له عذر، لم يفهم... هذه اسمها أحكام الآخرة، وهي لا تخصنا، عندنا شيء اسمه أحكام الدنيا، هذا إجماع عند المسلمين.

لكن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (والله لا يسمع بي) وربنا قال: {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ}[التوبة ٦] أي: هنا والله لا يسمع حتى يسمع كلام الله. ربنا أوجب على نفسه أنه سيُسمِع الناس وأنه سيبلغهم، الصادق الراغب سيصل والله لو في أقصى الأرض سيصل؛ لأن الله -عز وجل- عِلمه في كل مكان سبحانه وتعالى ويحيط بالخلق -سبحانه وتعالى-.

نعود لمصير أهل الفترة :

إذًا المعنى الثاني أن ربنا لن يترك البشرية في الضلال أبدًا؛ بل ربنا سيرسل لهم من يكون حجة عليهم، فإما أن يهتدوا على بينة أو يختاروا الضلال على بينة. لذلك هذه المرحلة التي نسميها مرحلة الفرقان؛

---

[٨] [عن أبي موسى الأشعري:] لن يَسمَعَ بي أحدٌ مِن هذه الأمةِ، ولا يهوديٌّ، ولا نصرانيٌّ، ثم لا يؤمِنُ بي، إلا كان مِن أصحابِ النارِ، قال: قلتُ: ما قال رسولُ اللهِ ﷺ شيئًا إلا كان في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ، قال: فوجَدتُ ومَن يكفُرْ به منَ الأحزابِ فالنارُ مَوعِدُه
البوصيري (ت ٨٤٠)، إتحاف الخيرة المهرة ٦/٢٢٠ • إسناده صحيح

لذلك آية {لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ}[الأنفال ٤٢] جاءت في سورة الأنفال في سياق الكلام عن غزوة بدر الذي سماه الله عز وجل: "**يوم الفرقان**". عندما تأتي حالة فرقانية فالذي يهلك يهلك على بينة والذي يحي يحي على بينة، الذي يهتدي يهتدي على بينة والذي يضل يضل على بينة.

ما هي البينة؟

{لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ **الْبَيِّنَةُ** * رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً}[البينة ١-٢]

{حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ}، ما هي البينة؟ "**رسول يتلو**"، فحتى نُحدِث تغيير في المجتمع يجب أولًا: وجود بشر متجسد يعيش وسط الناس يأكل الطعام ويمشي في الأسواق يعيش وسطهم، ماذا يفعل؟ يتلو {رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ}[البينة ٢-٣]، هذا المعنى لم يأتِ في القرآن إلا في هذا الموضع.

دائمًا يتلو عليهم آياته {يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ}، جاءت في البقرة وآل عمران والجمعة، {وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}[٩]، وفعل التلاوة يختلف على حسب السياق، هنا في السورة {يتلو صحفًا}. وجاء في سورة العنكبوت جدال أهل الكتاب أيضًا: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ}[العنكبوت ٥١] والذي يُتلى سماه الله عز وجل "كتاب" أي شيء مكتوب.

لاحظ من المقصود هنا في خطاب السورة ؟

أما هنا في سورة البينة يقولون أن سياق السورة في الأصل **يخاطب أهل الكتاب** وليس المشركين، والمشركون هنا (تَبع) بدليل أن الله عز وجل لما تكلم عن الكفر في أول السورة قدَّم أهل الكتاب على المشركين، وأن الله عز وجل عندما ذكر التفرُّق ذكر أهل الكتاب منفردين، قال: {وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ}[البينة ٤] لم يقل: "والمشركين"، وخاطبهم: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ}[البينة ٥]. هذا الخطاب كله لأهل الكتاب.

من هم شر البرية ؟

[٩] {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}[آل عمران ١٦٤]
{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}[الجمعة ٢]
{ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[البقرة ١٢٩]

فالخطاب هنا للذين **عندهم علم وكتموه** فضَلَّ بسببهم الناس؛ لذلك هؤلاء هم شر البرية.

لماذا قال شر البرية؟ ولماذا هم شر البرية؟

وسنتكلم لماذا قال: "شر البرية"؟ هذه الكلمة لم تأتِ إلا هنا، لماذا قال البرية ولم يقل شر الخلق؟ ربنا قال: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ}[الأنفال ٢٢ / الأنفال ٥٥] قيل: شر الدواب شر الخلق كالأنعام، بل هم أضل، هنا جاءت شر البرية لها علاقة باسم الله البارئ، ستأتي -إن شاء الله-.

الخطاب هنا خطاب أهل الكتاب فيقولون في الخطاب مع أهل الكتاب يجب أن تُحدِّد المخاطب أو المدعو. ستكلم واحدًا من المشركين الأميين الوثنيين الذي لا يعرف شيئًا في حياته غير بعض الأشياء المعينة ويعيش في جاهلية؟ أم ستخاطب واحدًا من أهل الكتاب الذي عنده علم بالكتب والأنبياء والغيب والآخرة؟ هنا خطابك يجب أن يكون مختلفًا عن ذاك.

القرآن يعلمنا فن الخطاب أو فن الدعوة:

لما بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- سيدنا معاذ إلى اليمن، وقبل أن يقول له ماذا يفعل، قال له: (إنك تأتي قومًا أهل كتاب)[١٠]، للعلماء وقفة هنا وابن حجر يقول في شرح الحديث: النبي -صلى الله عليه وسلم- يعرفه نوعية الناس الذين سيذهب لهم، نوعية أهل الكتاب، محتاجون خطابًا علميًّا إقناعيًّا -مع الوعظ فهو لا يخلُ منه خطاب-.

وأحد معاني قول الله -عز وجل-: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ}[غافر ٨٣]، بعض المفسرين قالوا {فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ}: إن بعض الناس الذين عندهم علم في الأديان وعندهم معلومات وثقافة وواسع الاطلاع دنياويًّا وعنده علم؛ عندما تأتي له تكلمه يشعر أن كلامك بالنسبة له ليس مهمًا وكلامك بالنسبة له ليس مقنعًا. لذلك الشخصية المتفلسفة لو لم تخاطبها خطابًا علميًّا مقنعا لا يهتم بكلامك. بالطبع نحن نقول إن الوعظ لا بد أن يكون موجودًا في كل هذه الخطابات لكن خطاب الملاحدة غير خطاب المشرك غير خطاب الوثني غير خطاب العلماني غير خطاب النصراني، هؤلاء مختلفون، حتى المسلم العاصي صاحب الصغيرة غير المسلم صاحب الكبيرة.

القرآن يُكتب أم يُقرأ ؟

[١٠] [عن عبدالله بن عباس:] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَثَ معاذًا إلى اليمَنِ فقالَ لَه: إنَّكَ تأتي قومًا أهْلَ كتابٍ فادعُهُم إلى: شَهادةِ أن لا إلَهَ إلّا اللَّه وأنِّي رسولُ اللَّهِ فإن هُم أطاعوا لِذلِكَ، فأعلِمهُم أنَّ اللَّهَ افترَضَ عليهم خمسَ صلواتٍ في اليومِ واللَّيلةِ فإن هُم أطاعوا لذلِكَ، فأعلِمهُم أنَّ اللَّهَ افترَضَ عليهم صدَقةً في أموالِهِم تؤخَذُ من أغنيائِهِم وتُردُّ على فُقرائِهِم، فإن هُم أطاعوا لذلِكَ فإيّاكَ وكَرائِمَ أموالِهِم واتَّقِ دَعوةَ المظلومِ، فإنَّها ليسَ بينَها وبينَ اللَّهِ حجابٌ
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الترمذي ٦٢٥ • صحيح

فهنا ربنا يخاطب **أهل كتاب** فقال: {يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً}[البينة ٢]، شيء مكتوب، وليست صحفًا فحسب بل صحف فيها كتب. الصحف المطهرة هي القرآن. وكأن هذه بشارة أو إشارة أن القرآن لا بد أن يكتب، فلا تكتفوا بمجرد إقراء القرآن لا بد أن يُكتب القرآن، وبشارة أن القرآن سيظل مكتوبًا بالرغم من أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أُمِّي، وبالفعل بدأوا بكتابة القرآن على العظام والرقاع والجلود، وفي النهاية جمعوه ووضعوه في مصحف. فكأنها بشارة أو إشارة أن القرآن يجب أن يكون مكتوبًا وأن الناس لن يظلوا أُميين، يُقرأ عليهم القرآن فحسب مثل العرب؛ لا، بل أنتم ستفتحون الدنيا، أنتم الرسالة الخاتمة للعالم، فيجب أن تذهبوا للعالم بكتاب مكتوب.

معجزة حفظ الله للقرآن :

{رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً}[البينة ٢]، ليست صحفًا طاهرة بل: صحفًا مطهرة، من الذي طهرها؟ ربنا -سبحانه وتعالى-. كلمة "مطهرة" يقولون فيها إشارة بكتب السابقين، أي: كأن هذه الصحف ستكون غير صحفكم، صحفكم تدنست لكن هذه الصحف ستظل طاهرةً؛ لأن الله عز وجل هو الذي يحفظها، {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}[الحجر ٩]. فهذه بشارة أن هذا القرآن لن يحدث له تحريف (لن القاطعة) ولن يحدث له تبديل، مستحيل! هذه آية معجزة. عندما تتحدى أي كافر يجب أولًا أن تتحداه بالقرآن، عندما تتناقش مع ملحد، مع كافر، مع مشرك، مع أي شخصية ليست مسلمة، يجب أن يكون التحدي بالقرآن أولًا، أليس هذا هو التحدي الذي ذكره الله في القرآن؟

بماذا تحدى القرآن العرب ؟

التحدي الذي في القرآن كله شيآن ثم المباهلة، قبل أن تدعوه للمباهلة وندعو على الظالم بأن يهلكه الله، التحدي بشيئين، للمشرك التام بصفة "الخالقية" تقول له: {الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ}[الحج ٧٣].

والذي عنده مناهج أخرى تتحداه بالقرآن. وتقول: مهما فعلتم لن تأتوا بمثل القرآن ولا بسورة! وعندما تعرض له هذا التحدي لا تكن خائفًا، لا تقل: وماذا لو أتوا بسورة؟ لن يفعلوا! لأن الله عز وجل قال: {وَلَن تَفْعَلُوا}[البقرة ٢٤]! فلن يأتوا بشيء ولو اجتمعوا له، مستحيل! هذا إعجاز، أريدك أن تكون موقنًا بهذا التحدي.

ما معنى "التلاوة" في الآيه ؟

{رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً}[البينة ٢]. ما معنى التلاوة هنا؟

ماذا يعني أن شيء تلى شيء؟ في آية {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا}[الشمس ١-٢] هل القمر هنا قرأ الشمس؟ لا، بل: **تَبِعها**، فالقمر تابع، سواء تابع متلقي من النور ويعكس الضوء، أو تابع حركيًّا. إذا "تلاها" أي: تبعها.

يجب أن تعرف معنى اللفظ، مثلما قلنا في لفظ "منفكين": أي: تاركين، وقول آخر: متروكين.

إذا: {وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا}[الشمس ٢] أي: إذا تبعها. فتلا شيئًا بمعنى تبعه، جاء فلان ثم تلاه فلان أي: ثم تبعه فلان.

فكلمة "يتلو" هي وظيفة أنك تابع عندما يُلقى إليك، أي: الرسول لا يختلق كلامًا من عنده، الرسول يتبع ما أنزله الله.

قوة القران ، وأنه هو آيه في ذاته.

وجود رسول يتلو آيات؛ هل هذا بينة كافية ليختفي الظلام في الأرض؟ بمعنى كفر أهل الكتاب والأصنام والمشركين؛ هل بالفعل كل هذا ينقشع برسول يتلو صحفًا مطهرة؟

للأسف نحن غير واثقين في منهجنا! مثلا: نحن إذا سمعنا الآن أنهم في فلسطين أو في سيناء وجدوا عصا موسى—افتراضًا فهذا أمر مستحيل- وجربوها فوجدوها تعمل! تخيل مدى فرحتك ويقينك أنك ستستطيع أن تقنع الناس، فمن يجادلك ستُخرِج له العصا وتذهب إلى البحر وتشقه!

لكن الله عز وجل يقول في القرآن أن آية القرآن أقوى وأكثر استمرارًا إلى يوم القيامة، فيجب أن توقن بهذا الكلام. قال الله: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ **بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا**}[الرعد ٣١]، قيل هناك محذوف أي: لكان هذا القرآن، أي: لو أن الله عز وجل قدَّر أن ثمة كلام تقطع به الأرض مثلما حدث مع سيدنا موسى وفرق البحر، أو سيرت به الجبال مثلما نُطِق الجبل فوق بني إسرائيل، أو كُلم به الموتى مثل معجزة سيدنا عيسى **لحدث كل ذلك بالقرآن**. أي أن كل معجزات سيدنا موسى وسيدنا عيسى لو أن هناك كلام سيفعلها لكان هو القرآن. "بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا"، ولكن الله عز وجل أراده معجزة معنوية وليس معجزة حسية. والنبي صلى الله عليه وسلم قال هذا: (ما من نبي من الأنبياء إلا أوتي من الآيات ما على مثله أمن البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)[١١]. كيف يكون أكثرهم تابعًا وهناك شيء اسمه

[١١] ١- ما من نبيٍّ من الأنبياءِ إلّا وقد أوتيَ من الآياتِ ما آمنَ على مثلِهِ البشرُ، وإنَّما كان الَّذي أوتيتُهُ وحيًا أوحاهُ اللهُ إليَّ، فأرجو أنْ أكونَ أكثرَهم تابعًا يومَ القيامةِ
ابن تيمية (ت ٧٢٨)، الجواب الصحيح ٣٨٠/٦ • صحيح

عصا موسى! نعم هذه الآية –القرآن– أقوى فأنت **يجب أن يكون يقينك في القرآن أشد من يقينك في تأثير عصا موسى على الناس**، لكننا للأسف بعيدون عن القرآن، بعيدون عن هذه المعاني، عن هذه المعجزة وليست مختلطة بلحمنا ودمنا.

{رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ}[البينة ٢-٣]

ما معني كتب قيمة ؟ وما مدى قيمة هذا الكتاب ؟

ما معنى "فيها كتب قيمة"؟ كيف تكون صُحف وفيها كتب؟ قالوا مثلما تجد في كتاب مثل كتاب البخاري وتجد فيه كتاب الطهارة، كتاب الصلاة، كتاب كذا. بمعنى **هذا القرآن ليس معجزة واحدة**، لا؛ بل هناك أنواع من الإعجاز ستجد فيه إعجاز في اللغة وإعجاز في السياق وإعجاز في العلم –العلم الدنيوي– وإعجاز في البلاغة، وإعجاز في الهدى، وإعجاز في حل مشاكل المجتمع الاجتماعية، وإعجاز في حل مشاكل المجتمع الاقتصادية... ألوان وكتب من الإعجاز، فالقرآن ليس معجزة واحدة، لا؛ بل القرآن مئات الأنواع ليس مئات الإعجازات لا مئات الأنواع، وكل نوع فيه تفاصيل في الإعجاز، "ولكن أكثر الناس لا يعلمون"!

إننا في الأصل نخاطب أهل الكتاب وأهل الكتاب يقولون: أنا لست مؤمنًا إلا عندما تأتيني ببينة، فقلنا له البينة رسول يُعرَف بنسبه ويعرف بصدقه وأمانته، فأنت لكي تكونَ بينةً للناس يجب أن تُعرَف بالصدق والأمانة، فأنت عندما تتخلى عن خلق الصدق والأمانة أنت تخاطر بالبينة، أنت للأسف تقلل الحجة على الناس. مثلًا شخص يقرأ القرآن على الناس وتخلى عن خلق الصدق والأمانة هذه مصيبة؛ لأنه لم يصبح بينة، فنحن أحيانًا نُسيء إلى القرآن دون أن نشعر، أنت يجب أن تكون معروفًا؛ لذلك قالوا البينة أنه رسول معروف عندهم بالصدق والأمانة والخلق فهذا يكون بينةً عند الناس.

بالنسبة لأهل الكتاب {فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ}[البينة ٣]، قيل: معناها يحتوي على أدق وأجمل وأقوى وأصح ما في الكتب السابقة؛ أي أن الكتب السابقة مُضمَّنة في القرآن. {إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ} [الأعلى ١٨-١٩] ما المقصود بـ"هذا"؟ قيل: أي أن هناك أشياء في القرآن كانت موجودة في الصحف الأولى.

فقالوا {فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ} تعني: كأنك تقول لليهودي أو النصراني: عندما تقرأ القرآن إذا كان لديك اطلاع على كتبك ستجد أُلفة وتآلف في الأصول، وخاصةً الكتب التي لم تُحرَّف، وسبحان الله عندما يقرأ أحدنا في التوراة والإنجيل المحرفين حتى الآن يجد بشارات بالقرآن وبالنبي –صلى الله عليه وسلم– لكنهم يؤولونها!

ماذا ننتظر نحن وماذا ينتظرون هم؟

كل دين وكل فكر على مستوى الأرض في الأغلب تنتظر **مُخَلِّص**. اليهود حتى الآن ينتظرون النبي الموعود به عندهم في التوراة وسيعتبرونه مُخَلِّصهم الذي هو المسيح الدجال. والنصارى حتى الآن عندهم وعود في الإنجيل أن هناك أحد سيأتي، حتى الآن ينتظرونه. ونحن جاءنا النبي -صلى الله عليه وسلم- وننتظر المهدي. والشيعة عندهم الإمام الثاني عشر. كله ينتظر أن هناك شخص سيأتي ويحدث حدث تغييري. حتى **نحن عندما ننتظر لا ننتظر المهدي فقط بل وننتظر نزول عيسى -عليه السلام-**، واليهود ينتظرون المسيح الدجال. ولن يقتل المسيح الدجال إلا عيسى، ما نحن نؤمن به ونوقن به سينتصر على ما هم يوقنون به؛ لذلك عندما يأتي المسيح الدجال أكثر اتباعه اليهود ونحن ننتظر نزول عيسى لأنه هو الذي سيقتل المسيح الدجال.

ماهي قيومة القرآن؟

{رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ}[البينة ٢-٣]، ما معنى "قيمة"؟ هل تعني أنها ليس فيها عوج؟ أم أنها تُقيم الناس حتى لا يكون فيهم عوج؟ قيمة ضد مُعوَجَّة، قيِّمة تأتي من مستقيمة، {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا} [الكهف: ١]. فبالتالي هو {قَيِّمًا} [الكهف: ٢].

ومن اللطائف في هذه الآية عندما تقرأها {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَاۜ * قَيِّمًا..} تجد حرف "س" أي: سكت لطيف، أن تقول: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا} وتقف ثم تكمل {قيمًا}، لا تصلها، لماذا؟ لأنك إن وصلتها فكأنك ستقول: {ولم يجعل له عوجًا قيمًا} فهنا سيعني أي أنه فيه عوج ولكن ليس قيمًا! فمعنى الآية سيفسد في حالة الوصل، ولهذا أنت تقول: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا}، وتقف. ومعنى أنه ليس له عوج؟ أنه قيم.

من معاني قيّم: أنك لن تستطيع أن تجد تناقضًا في القرآن، وكل إشكال يتحدثون عنه نكتشف أنه إعجاز، أحيانًا أهل الباطل ينتبهون إلى أشياء نحن لا ننتبه لها، فيقول لك وجدت مشكلةً وتناقضًا في القرآن، فتكتشف أنها معجزة لم تنتبه لها من قبل.

مثل قوله: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ...}[النساء ٨٢] يجدوا ماذا؟ {لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}، فهناك مَنْ يفهم معنى الآية خطأ وهو أن القرآن فيه اختلاف لكنه قليل! لا؛ ليس معنى الآية مفهوم المخالفة، بل معنى الآية: أي جهد بشري سيحاول كتابة قرآن لن يكون فيه اختلافات قليلة؛ بل سيكون فيه اختلافات كثيرة، فإن أي جهد بشري لا بد أن يحتوي على آلاف التناقضات

والاختلافات، فإذا أرادوا عمل كتاب دستور بشري مثل القرآن لا بد أن يكون مليئًا بالتناقضات والاختلافات.

إذًا؛ {قيمًا} معناها أنه يهدي للتي هي أقوم.

كيف كان حالهم بعد بيان الحق ؟ أنكروا !

{وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ}[البينة ٤]. للأسف كثير من الناس يُقسم أنه يتمنى أن يرى آية، يتمنى أن يرى بينة، لكن الحقيقة عندما تطرح له البينة تُفاجأ بأنه {مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا}[فاطر ٤٢]. المشركون كانوا يحلفون: لو أن عندنا رسالة، لو أن عندنا وحي، لو أن عندنا رسول، {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا}[فاطر ٤٢]، يقولون: لو جاءنا نذير سنؤمن، وكذلك اليهود كانوا يقولون سيأتي نبي وسنتبعه وسنقاتل به العرب، فلما جاء النبي ماذا فعلتم؟ كفرتم!

كثير من الناس للأسف هذا خُلُقه، مثل ما جاء في سورة التوبة: {لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ من الصالحين فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ}[التوبة ٧٥]، فكثير يقول: أنا منتظر فقط أن أرى الآية.

اعلم أن **الذي لا يكتفي بالقرآن لن يكتفِ بأي آية**، هذه قاعدة أقرَّها القرآن. المشركون طلبوا آيات كثيرة جدًّا وهذه موجودة في سورة الأنعام. على مدار سورة الأنعام المشركون يقولون نريد آية، المسلمون وصلوا مرحله أنهم يتمنون أن تأتي آية؛ لذلك قال الله تعالى للمؤمنين: {وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ}[الأنعام ١٠٩]، والآية التي تليها مباشرةً {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ}[الأنعام ١١٠] أي أن الذي لم يؤمن بالقرآن أول مرة ولم يقتنع به والله لن يؤمن وإن أتيته بأي آية، ولو كلَّمته الملائكة {وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا}[الأنعام ١١١] هذه الآية جاءت بعد آية القرآن؛ لأن الذي لم يؤمن بالقرآن والله وإن يرى أي آية، وإن رفعتهم إلى السماء سيقولون: {إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا}[الحجر ١٥]، أي: لو رفعته إلى السماء سيقول لك: أنت سحرتني.

أشد الآيات وضوحًا في الدنيا؛ ناقة صالح وعصا موسى، ماذا فعلوا بعدما رأوها؟ عقروا الناقة، وعندما انشق البحر سار فرعون ومن معه في البحر خلف سيدنا موسى ليقتلوه! فلا تظن أن بشر اليوم أذكى من السابقين، {أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَائِكُمْ}[القمر ٤٣] هم متشابهون، نفس مستوى التفكير العقلي. من لم يكتفِ بآيات القرآن لن تكفيه أي آية على مستوى التاريخ، لن يؤمن بأي آية.

نحن إذا كنا نخاطب المؤمنين نقول لهم: يا أهل الإيمان اعلموا أن هذا الواقع لن ينفك عما هو فيه من ضلال إلا بمجيء البينة. وأيضًا أيها المؤمنون اعلموا أنه حتى بعد أن تأتي البينة سيظل جزء من أهل الباطل يُصِرّ ويتمسك بباطله. هذا هو ملخص الآيات السابقة، إذا كنا نخاطب لأهل الإيمان. اعلموا أن هذا الواقع لن ينفك من الضلال الذي هو فيه إلا ببشر يطبق القرآن، لا بد أن يكون نموذجًا حيًّا {رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً}[البينة ٢]، بشر يطبق القرآن ويتَّبِعه مثل كلمة "يتلو" تعطي هذا المعنى من الاتباع.

وإذا كنا نخاطب أهل الكتاب نقول لهم: يا أهل الكتاب أنتم ادَّعيتم أنكم لن تؤمنوا إلا إذا جاءت البينة، قد جاءتكم البينة، ارجعوا إلى كتبكم واقرأوها ثم اقرأوا القرآن وتعاملوا مع النبي –صلى الله عليه وسلم– تعاملًا مباشرًا فسوف تعلمون أن هذه بينة حقًّة، ولكنكم تفرقتم واختلفتم اتباعًا لأهوائكم، {وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ}[البينة ٤].

ما الدليل على أن ديننا هو الدين الحق؟

ثم انظر إلى هذه الآية –سبحان الله!– نحن نقرأها منذ الصغر، {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}[البينة ٥] ما الدليل في هذه الآية على أن ديننا هو الدين الحق؟

الأصل أن هذه الآية رد على شبهة: {وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ}[البينة ٤]. فبعض أهل الكتاب قالوا هذه ليست بينة، فتأتي هذه الآية لتكون ردًا على شبهتهم، أين هذا الرد؟

سبحان الله! كما أقول لك كلما تحيا مع القرآن أكثر وتفكر فيه أكثر يبصرك الله بالأمور التي لم تنتبه لها من قبل أنها ردود في القرآن على الشبهات.

ربنا يقول لهم أنا سأعطيكم علامة تقيِّموا بها أي دين يُعرض عليكم إلى يوم القيامة وأيَّة فكرة تُعرض عليكم إذا كانت هذه الفكرة حق أم باطل، أي أن هذه الآية مقياس وميزان، اختر أيَّة فكرة؛ الهندوسية، الليبرالية، الشيعة... أيَّة فكرة موجودة على مستوى البشرية، هذا معيار تُقيِّم به إذا كانت هذه الفكرة حق أم باطل، كيف؟

{وما أمروا إلا...}، لا بد أن يكون الشرع فيه أوامر؛ هذا أول شيء. من الذي له حق التشريع ؟

لا بد أن يكون فيه أوامر ونواهٍ. فكرة أو اعتقاد أو دين بدون أوامر ونواهٍ من عند المرسل –الله– لا يكون دينًا. إذًا هكذا علمت ببطلان كل الأفكار التي ليس فيها أوامر ونواهٍ مثل الهندوسية؛ عندهم

أربعة على مستوى البشر ليس هناك تشريع ولا شيء، هم يجتمعون هكذا في لحظة صفاء وخلوة يتلقون الأخلاق والتعاليم من وحي يأتيهم فيعلمون الناس أخلاقًا وهذه الأخلاق تتغير مع تغير الزمان، هذا كلام باطل، نحن نريد كتاب مكتوب وصحف فيها أوامر ونواهٍ.

إذًا؛ الدين الذي ليس لديه كتاب يخرج من النقاش. فعندما يأتيك دين خاصةً مثل الليبرالية.. وأنا أتحدث عن الليبرالية الكافرة الخاصة بأمريكا التي هي تمثال "الحرية الليبرتي"، التي نشأ معها البروتستانت التي تركت الأرثوذكس والكاثوليك، البروتستانت أي: المحتجين المعترضين هنا نشأت الفكرة الثالثة اللاكنيسة؛ البروتستانت. الدين الليبرالي هناك عبارة عن دين متداخل مع الدين هي فكرة أثرت على الدين، فهل عندكم كتاب أيها البروتستانت؟ عندكم كتاب؟ إذًا سنكمل النقاش، ليس لديكم كتاب؟ إذًا خرجتم خارج النقاش.

من هو المستحق للعبادة ؟ {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ}[البينة ٥]، هذا الدين يجب أن يتحدث عن العبودية لله. أي دين لا يتحدث عن العبودية لله مرفوض، {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ}[البينة ٥] هذا الذي لم يعد موجودًا في البشرية الآن. أغلب الموجود الآن قد أصابته لوثة الشرك، حتى الفرق الضالة في بعض المسلمين مثل الشيعة: يتدخل أئمتهم في التشريع، لكن عندنا أمر الوحي انتهى بوفاة النبي –صلى الله عليه وسلم– لكن هم عندهم الإمام يمكن أن يتلقى تشريع!

فيجب أن يكون الدين خالصًا لله ليس فيه لوثة الشرك. هذه اللوثة قد تأتي في التشريع، أو تأتي في الربوبية، أو تأتي في الألوهية، أو تأتي في أن الذبح لغير الله.. وقد أصابت هذه اللوثة النصارى؛ لوثة أن عيسى هو الله أو ابن الله فأصبح هذا ليس دين حق، الدين الحق هو {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ}[البينة ٥]!

"حنفاء" الحنيف لغةً: هو المائل؛ أي: بعيد عن كل شرك، أي: يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله. الدين الحق يجب أن يقول لك: هناك طاغوت عليك أن تكفر به. أيةُ دين يقول لك يسعنا أن الاديان كلها حق وأن الحق نسبي ويمكن أن تكون بيننا وحدة أديان؛ هذا دين باطل.

الدين لكي يكون حق لا بد أن يكون ما سواه باطل. لكي يكون هناك شيء اسمه الإيمان لا بد أن يكون هناك شيء اسمه الكفر. إذًا؛ يجب أن تُقيِّم الدين الحق.

حق التشريع يكون لله

وهذه الأمور كانوا يعرفونها والقرآن يقول لهم اسألوا أسلافكم وأنتم أعلم بتقييم الدين، هل النبي –صلى الله عليه وسلم– قال لكم أنا الذي أُشرِّع أم قال: {إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ}[الأنبياء ١٠٨]؟

لذلك نصوص بشرية النبي –صلى الله عليه وسلم– مثبتة في القرآن؛ وأنه بشر. وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم –بالصيغة الفقهية– هو مُشرِّع، وعندما نقول لفظة "الشارع" فتحتمل أن تقصده. ولكن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: أنا لا أتكلم إلا بوحي، والسنة هي وحي. لكننا لا نعبد النبي –صلى الله عليه وسلم–، فنحن لسنا مثل النصارى. فهذه اللوثة لما أصابت اليهود والنصارى في الأحبار والرهبان. قال عدي بن حاتم للنبي –صلى الله عليه وسلم– عندما قرأ النبي: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ}[التوبة ٣١]. قال: قلت: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدُهم! (فقال: أليس يحرِّمون ما أحلَّ الله فتحرِّمونه، ويحلُّون ما حرَّم الله فتحلُّونه؟ قال: قلت: بلى! قال: فتلك عبادتهم!)[١٢].

إذًا؛ كلمة {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}[البينة ٥]، التشريع خالص لمن؟ **حق التشريع يكون لله** الواحد القهار سبحانه وتعالى. وهذه لم ينجُ منها دينٌ باطل على مستوى الأرض، حتى أي فكرة مثل: فكرة العلمانية.

فكرة العلمانية: أن هناك شيء عند الإنسان يسمى الغيب ودائمًا يعرف الإنسان الأشياء التي لا يعرفها الغائبة عنه عن طريق السؤال، سواء أنه يسأل أو يبحث بنفسه، المهم أنه يتسأل. فأهل الإيمان قالوا بأن هناك رسل أجابوا لنا على تساؤلات في حياتنا، سواء غيبيات أو إصلاح لحياتنا لم نكن نعرفها، وأهل الكفر والملاحدة قالوا: لا؛ لا يوجد شيء اسمه الرسل ولم يجيبوا على تساؤلاتنا. العلمانيون المتقدمون يقولون: بأنه يوجد رسل ويوجد إله أرسل الرسل بوحي يجيب على التساؤلات لكن هذه الإجابات ليست إجابات كاملة؛ هذه الإجابات تخص دور العبادة لكن خارج دور العبادة لم يأتِ الرسل بإجابات على ما خارج دور العبادة. أما العلمانيون المتأخرون يقولون: لا؛ جاء بإجابات ولكن كانت تصلح لأوقاتهم ولا تصلح لأوقاتنا. فالعلمانيون أكثر من صنف.

فهذه الآية تستطيع أن تُقَيِّم بها أي دين إذا كان حقٌّ أم باطل.

{وما أمروا إلا ليعبدوا الله}، فالله يخبرهم أنهم كفروا بالنبي مع أنه لم يبلغهم إلا بما عندهم؛ ألم يكن عندكم أنه لا تعبدوا إلا إله واحد وتقيموا الصلاة –العبودية– وتواسوا أناس بأموالكم وتؤتوا الزكاة؟ وهؤلاء إذا اجتمعن في دين فذلك دين القيمة.

كيف تؤتي قيوميه القرآن ثمرتها؟

[١٢] [عن عدي بن حاتم الطائي:] قدمَ [عديُّ بنُ حاتمٍ] على النَّبيِّ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهو نصرانيٌّ فسمعه يقرأُ هذه الآيةَ: اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ والْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَما أُمِرُوا إِلّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا واحِدًا لا إِلَهَ إِلّا هُوَ سُبْحانَهُ عَمّا يُشْرِكُونَ قال: فقلتُ له: إنّا لسنا نعبدُهم، قال: أليسَ يحرمونَ ما أحلَّ اللهُ فتحرِّمونَه، ويحلُّونَ ما حرَّمَ اللهُ فتحلُّونَه، قال: قلتُ: بلى، قال: فتلك عبادتُهم
ابن تيمية (ت ٧٢٨)، حقيقة الإسلام و الإيمان ١١١ • حسن

ولن يكون الدين قَيِّم مُقَوِّم لمجتمع يقيمه إلا أن يكون فيه كفر بالطاغوت أي: هناك حنفاء، ومخلصين وإقامة للصلاة وإيتاء للزكاة. أي أنه لن تحدث إقامة للمجتمع من حالة الانحطاط إلى حالة التقدم – بالنسبة للمسلمين– لن يحدث هذا إلا بأربعة عناصر: حنفاء، مخلصين، إقامة الصلاة، إيتاء الزكاة.

لذلك أي دعوة تنشأ لتخرج المجتمع من حالة الانحطاط مثلما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (يبعث الله على رأس كل مائة عام من يجدد لهذه الأمة أمر دينها)[١٣]، يجب أن تبدأ على هذه العناصر الأربعة.

في مسألة الاصلاح الاقتصادي {كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ}[الحشر ٧]، يجب أن تكون هناك زكاة ولا بد أن تكون إلزامية على الناس ويبعث من يأتي بالزكاة. ومسألة إقامة الصلاة —العبادة–، (لا دين لمن لا صلاة له)[١٤]، والكفر بالطاغوت والإيمان بالله. هذا لا بد أن يحدث.

فيخبرهم الله أن هذا لم يعد عندكم، ويسألهم هل جاء في الدين أن اعبدوا البشر؟ لا؛ بل على النقيض.

تقول أمُّنا عائشة: لو كان النبي صل الله عليه وسلم يخفي آية من القرآن لأخفى آية {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ}[الأحزاب ٣٧]. ربنا قال للنبي –صلى الله عليه وسلم– في القرآن: {عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ}[عبس ١–٢]، وقال له: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ}[عبس ٣]. النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: {وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ}[الأعراف ١٨٨]، ويقول: {إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي}[سبأ ٥٠]. هذا غير الأحاديث، أنا أكلمك عن آيات مسجلة مسطرة في القرآن.

ثم في الآيات الأخيرة لماذا قيل فيها شر البرية وخير البرية؟

ختمت السورة أن الناس اتجاه هذا الوحي سوف ينقسموا إلى فريقين:

فريق سيؤمن به ويجب أن يصل بهذا الإيمان إلى مرحلة ذُكِرت في آخر سورة البينة، وهي: مرحلة الرضا، {جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا

---

[١٣] يَبعثُ اللَّهُ على رأسِ كلِّ مائةٍ مَن يجدِّدُ لهذهِ الأُمَّةِ أمرَ دينِها
الألباني (ت ١٤٢٠)، إصلاح المساجد ٦ • صحيح

[١٤] [عن عبدالله بن عمر:] لا إيمانَ لمن لا أمانةَ لَهُ، ولا صَلاةَ لمن لا طُهورَ لَهُ، ولا دينَ لمن لا صلاةَ لَهُ، إنَّما موضعُ الصَّلاةِ مِنَ الدِّينِ كموضعِ الرَّأسِ منَ الجسَدِ
المنذري (ت ٦٥٦)، الترغيب والترهيب ٢٦١/١ • [إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما] • أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٢٩٢)، والمخلص في «المخلصيات» (٢٥٢٩)

عَنْهُ}[البينة ٨]. فيجب أن نصل مع الدين أن نقول: (رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا)[١٥]، {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[النساء ٦٥] وهذا هو الرضا.

أي أن تحكيم شريعة بدون أناس ترضى ستنقلب عليهم مرة أخرى، فالطائفة المؤمنة يجب أن تصل إلى مرحلة الرضا {رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}[البينة ٨]؛ رضوا بشرعه ورضوا بالصحف القيمة ورضوا بالكتب القيمة ورضوا بالدين القيم ورضوا بالرسول واتخذوه منهجًا يقاتلون في سبيل الله.

نقف قليلا مع لفظة **البرية** :

لماذا قال: (خير البرية وشر البرية). والبرية تأتي من اسم الله البارئ، وقد تكلمنا عنه من قبل في سورة الحديد عند تفسير قول الله عز وجل: {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا}[الحديد ٢٢]. واسم الله البارئ في كتب الأسماء الحسنى ستجد له معانٍ كثيرة.

والبارئ ذُكر ثلاث مرات في القرآن؛ مرة في: {الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ}[الحشر ٢٤]، ومرتين في آية واحدة: {فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ}[البقرة ٥٤]، كان الحل للتوبة هو قتل النفس.

البرء في اللغة: أي انفصالك عن شيء فاسد يضرك، برأ من مرضه أي: كأن هناك شيء مسيطر عليه ثم انفصل عنه، أو تحسين الشيء؛ من بريت القلم: أي تعديله وتحسينه ليؤدي مهمته.

فالله سبحانه وتعالى قال: {الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ}[الحشر ٢٤]، فهذا الترتيب مقصود؛ فالخالق هنا بمعني التقدير أو إيجاد من العدم للمكونات الرئيسية للإنسان، ثم مرحلة التصوير؛ خروج الشكل الكامل سواء التصوير الخارجي أو الباطني أو المعنوي للإنسان.

ولكي ينتقل الإنسان من هذه المرحلة الترابية الطينية الذي كان من عدم وهو في شكل تمثال طيني إلى مرحلة مصورة في أحسن صورة ظاهرًا وباطنًا ومعنويًّا يجب أن يُشفى من هذه الحالة الطينية لكي يكون مُكرَّمًا، قالوا هذا **معنى اسم الله البارئ**، فهذا التحويل "**برئه من الطين وجعله إنسانًا**".

أحيانًا يوضع البرء بمعنى الخلق أو الإيجاد من العدم؛ لأنه حوَّله من صورة طينية ترابية إلى إنسان مُكَرَّم مشرف.

---

[١٥] [عن خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم:] ما مِن عبدٍ مسلمٍ يقولُ حينَ يُصْبِحُ وحينَ يُمْسي ثلاثَ مرّاتٍ رضيتُ باللهِ ربًّا وبالإسلامِ دينًا وبمحمَّدٍ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ نبيًّا إلّا كان حقًّا على اللهِ أن يُرضِيَه يومَ القيامةِ
الهيثمي (ت ٨٠٧)، مجمع الزوائد ١١٩/١٠ • رجاله ثقات

هذا اسم الله البارئ، وهذا ترجيح لأن هناك أقوال كثيرة في اسم الله البارئ.

فلفظ اسم الله "**البارئ**" فيه معنى أنه يصرف عنك السوء أنه نقلك من الصورة الترابية الطينية لهذه الصورة المكرمة المشرفة للبني آدم، قال الله: {فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ}؛ أي أنكم ستُشفون من عبادة البقر بمعنى؛ عودوا إلى البارئ، ما ستفعلونه سيكون خيرًا لكم عند بارئكم، هذه التوبة ستُعيدك نظيفًا مثلما كنت على الفطرة، الله برأك على الفطرة؛ أي أنك قابل للوحي، عندما دنستم فطرتكم بعبادة البقر كان لا بد أن تعودوا لاسم الله البارئ بالتوبة، {فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ}[البقرة ٥٤].

من معاني هذه الآية: {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا}[الحديد ٢٢]، **أن المصيبة هي لك شفاء**؛ لأنه قال: نبرأها: أي أن المصيبة ربنا يبرأها لك أي أن المصيبة تُبرِّؤُكَ من الذنوب وتُبرِّؤُكَ من الأخلاق السيئة فالمصيبة دائمًا خير لك كأن المصيبة دواء يشفيك.

🔷 كلمة "خير البرية وشر البرية" وعلاقتها بالسور. قلنا في سورة التين أن هناك وحي نزل على النبي صلى الله عليه وسلم يرفع بعض الناس لأعلى عليين وينزل آخرين لأسفل سافلين. وفي العلق أن هناك أناس سيحاولون منعه من الوصول إلينا.

فالله سبحانه وتعالى يقول أن من يحاول أن يمنع الوحي –المذكور في سورة التين– عن الوصول للناس مثلما حاول –في سورة العلق– أن يمنع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ * عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ}[العلق ٩-١٠]، هؤلاء يفسدون البشرية، وينزعون أعلى دواء {خير البرية}، ينزعون أعلى تجلي لاسم الله البارئ في نزول الوحي أن يشفيهم من أمراضهم، هؤلاء أسوأ الناس في البشر وأضر أناس على البشرية، ومن يحاول أن ينشر الوحي هم من سيبرؤون العالم من الأمراض الموجودة فيه.

فكلمة: خير البرية وشر البرية؛ أي أن أكثر من يدنس العالم بالفساد من سيحاول أن يمنع الوحي عن الناس وأكثر من يشفي العالم مما فيه من ضلالٍ وكفرٍ من سينشر هذا الوحي للناس؛ لذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول بأن العالم كله والحيتان في البحر تصلي على مَنْ؟ تصلي على معلم الناس الخير، لماذا؟ لأن العالم كله يستفيد من انتشار الوحي، والله سبحانه وتعالى قال عمن يمنع الخير: {إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدي من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا أولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم}[البقرة ١٥٩] وقال عمن لم يتب: {إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين}[البقرة ١٦١]. لماذا البشر كلهم والمخلوقات كلها تلعنه؟ لأنه مَنَع وكتم الهدى فهم قد منعوا عن العالم أكثر ما يحتاجونه.

شر البرية هم مانعوا الوحي عن الناس

لذلك سنخرج بقاعدة: إن الذين يمنعون الوحي عن الناس أشدُّ إجرامًا من الذين يمنعون وصول الشمس للناس، إن الذين يمنعون الوحي عن الناس أشدُّ إجرامًا من الذين يمنعون الماء والهواء عن الناس، إن الذين يمنعون الوحي عن الناس أشدُّ إجرامًا من الذين يمنعون الرزق والطعام عن الناس. هؤلاء المجرمين، هؤلاء هم شر البرية، **هؤلاء يفسدون دواء البشر**، فالذي يبرئ البشر ويبريهم ويبرئهم من العيوب والنقائص هو الوحي، وهؤلاء يفسدون البرية، يفسدون الخلق، يفسدون الدواء، لأن هنا من معاني سورة البينة أن المشركين استمروا على شركهم بسبب سؤالهم اليهود عن سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم – عندما قال لهم إن معي كتاب، وقالوا يوجد قبلك أناس أهل كتاب فسألوا أهل الكتاب فقالوا لهم: أنتم أفضل منهم، فلم يؤمنوا؛ لذلك دائمًا فساد أهل الدين يصرف كثيرًا من الناس عن الحق.

قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ)[١٦]، وفي رواية: (يجادل بالقرآن). ففساد أهل الدين خطر، فلما كان أهل الكتاب هم أهل الدين عند العالم وفسدوا، البشرية كلها دخلت في ضلال.

بعض المفسرين قال: إن شر البرية المقصود به ابتداءً أهل الكتاب وسيعذبون أشد عذابًا من المشركين! كيف؟! أليس على الأقل هؤلاء يقولون إنه يوجد إله وبعث لكن عندهم شركيات؛ أما المشركين فلا بعث في اعتقادهم ولا جنة وعندهم أصنام؟! قالوا لأن هؤلاء منعوا وكتموا صفة النبي –صلى الله عليه وسلم– ومنعوا الهدى عن الناس، يقول الشاعر:

وَعَالِمٌ بِعِلمِهِ لَمْ يَعْمَلَنْ *** مُعَذَّبٌ مِنْ قَبْلِ عُبَّادِ الوَثَنْ

إذًا؛ لكي نصل إلى أن نكون خير البرية ونُبَرِئ البرية مما هي فيه من عيوب ونقص –مثل فكرة "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين"– نحتاج إلى رسول يتلو، وبالتالي أتباعه يتلون صحفًا مطهرة فيها كتبٌ قيمة.

أسأل الله عز وجل أن يستعملنا لنصرة دينه ولنشر دينه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أستغفرك وأتوب إليك.

[١٦] [عن عمر بن الخطاب:] إنَّ أخوَفَ ما أخافُ على أمَّتي كلُّ منافقٍ عليمِ اللِّسانِ
السيوطي (ت ٩١١)، الجامع الصغير ٢١٨٥ • صحيح